قال : وهناك أمل بلا جدران .

قلت : وأنت ؟

قال : فدائي ولاجيء . وأنت ؟

فاحترت في هويتي كيف انتسب امام هذا الجلال المسجى الذي حين يتكلم لا يئن ويتكلم حتى لا يئن . هل اقول له انني كبش ومقيم ؟ أم اقول له : دخلت الى بلاطكم زحفا ؟

فسترت عورتي بأنين طويل .

فتحامل على نفسه فاذا هو منتصب أمامي بقامته الفارعة حتى رايته يحني رأسه كي لا تصطدم بالسقف او كي ينظر الي .

وصاح : كف يا رجل !

قلت في نفسي : ها قد أصبحت رجلا بعد أن ركلتني أرجل الحراس .

وكان ظاهر الشباب لم تزده عباءته الارجوانية الا شبابا .

ـ مالك يا اخي ؟

لو كنا التقينا في الخارج هل كان يناديني بيا أخي ؟

وشيء في عينيه اعادني عشرين عاما الى وراء ، الى ملاعب الصبا ومدارج شارع الجبل . وفي ندائه ، مالك يا اخي ، سمعت صراخ يعاد القديمة ، والعسكر يلقونها في سيارة الترحيل : هذه بلدي ، داري ، وهذا زوجي !

فأعولت كالاطفال .

ـ اصبر يا والدي .

فلم أتوقف عن البكاء ، الا انه كان اعتزازا وامتنانا ، بكاء الجندي يمنحه قائده وسام الشجاعة .

ـ تشجع يا والدي ..

دوسي، أيتها الاحذية الضخمة على صدري ! اخنقي انفاسي ! أيتها الغرفة السوداء اطبقي على جسدي العاجز ! فلولاكم لما اجتمعنا من جديد . الحرس الغلاظ ، لو كانوا يعلمون ، هم حرس الشرف في بلاط هذا الملك . والغرفة السوداء الضيقة هي البهو المفضي الى قاعة العرش !

أصبحت اخاه . اصبحت والده . فأعيدوا ابتساماتكم الى قوالبها ايها العسكر !

وهزني اعتزاز لم يهزني منذ هتاف يعاد : هذا زوجي !

انا والدك ايها الملك . فلي ولد ، مثلك ، الا ان عباءته من مرجان البحر .

ولم اشأ ان اخبره بأنني من حيفا فيطول الشرح . فقلت : من الناصرة .

قال : اهلنا الشجعان .

ثم سأل : شيوعي ، بالطبع ؟

قلت : بل صديق .

قال : انعم واكرم .